(٢١)

مسالة فى المنع عن تفضيل الملائكه على الانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

ان سأل سائل مستدلا على فضل الملائكة على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال : ماتنكرون[1] أن يكون قولـه تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[2] ، يدل على ذلك .

ووجه الدلالة منه : أنه تعالى خبر بأنه فضل بني آدم على كثير ممن خلقه ، وظاهر هذا الكلام يقتضي أن في خلقه من لم يفضل بني آدم عليه ، وقد علمنا أن المخلوقات هم الانس والجن والملائكة والبهائم والجمادات. ومعلوم أن بني آدم أفضل من الجن والبهائم والجمادات بلاشبهة ، فيجب أن يكون من يجب خروجه من الكلام ممن لـم يفضل بني آدم عليهم هـم الملائكة عليهم السلام والا سقطت الفائدة .

---

١) في الاصل : ينكرون .

٢) سورة الاسراء : ٧٠ .

على أن لفظة « من » لاتتوجه الى البهائم والجمادات ، وانما تختص بمن يعقل، فليس يدخل تحتها ممن يجوز أن يفضل الادميون عليه الا الملائكة والجن واذا علمنا أنهم أفضل من الجن بقي الملائكة خارجين من الكلام ، وفى خروجهم دلالة على أنهم أفضل .

الجواب :

يقال له : لم زعمت أولا أن ظاهر الكلام يقتضي أن في المخلوقات من لم يفضل بني آدم عليه، فعلى ذلك بنيت[1] الكلام كله، فانه غير صحيح ولا يسلم.

فان قال : ان لفظة «كثير» تقتضي ذلك .

قيل له: من أين قلت انها تقتضي ما ادعيته، ويطالب بالدلالة ، فانا لانجدها.

ثم يقال له : قد جرت عادة الفصحاء من العرب بأن يستعملوا مثل هذه اللفظة من غير ارادة للتخصيص بل مع قصد الشمول والعموم ، فيقولون : « أعطيته الكثير من مالي ، وأبحته المنيع من حريمي، وبذلت له العريض من جاهي » ، وليس يريدون أنني أعطيته شيئاً من مالي وادخرت عنه شيئاً آخر منه، ولا أبحته منيع حريمي ولم أبح[2] ما ليس يمنعها ، ولابذلت له عريض جاهي ومنعت ماليس بعريض ، وانما المعزي بذلك والقصد : اننى أعطيته مالي ومن صفته أنه كثير ، [وبذلت له جاهي ومن صفته أنه عريض][3] .

وله نظائر في القرآن كثيرة ، وفي أشعار العرب ومحاوراتها ، وهو باب معروف لايذهب على من أنس بمعرفة لحن كلامهم ، ونحن نذكر منه طرفاً لان

---

١) خ ل : شيدت .

٢) فى الاصل : ولم أبحه ما ليس منيعاً .

٣) الزيادة من الهامش ، وبعدها وضع حرف ظ .

استيعاب الجميع يطول :

فممايجري هذا المجرى قوله تعالى : «الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها » [1] ولم يرد أن لها عمداً لاترونها[2] بل أراد نفي العمد على كل حال .

وقال تعالى : « ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به » [3] ، ولم يرد أن لاحد برهاناً في دعاء الله مع الله تعالى ، بل أراد أن من فعل ذلك فقد فعل مالا برهان عليه .

وقوله تعالى : «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق »[4] ولم يرد تعالى أن فيمن يقتل من الانبياء من يقتل بحق ، بل المعنى ماذكرناه وبيناه .

ومثله قوله : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا » [5] ، ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل نهى تعالى عن أخذ جميع الاثمان عنها والابدال ، ووصف ما يؤخذ عنها بالقلة .

وقال سويد بن أبي كاهل [6] :

مـن أنـاس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولاسوء الجزع[8]

---

١) سورة الرعد : ٢ .

٢) في الأصل : لاتروه .

٣) سورة المؤمنون : ١١٧ .

٤) سورة النساء : ١٥٥ .

٥) سورة البقرة : ٤١ .

٦) سويد بن أبي كاهل (واسمه غطيف أوشبيب) بن حارثة بن حسل الذبياني الكناني اليشكري ، أبو سعد شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، توفي سنة ستين هجرية (الاعلام للزركلي : ٣/٢١٥) .

٧) من قصيدة في المفضليات ص ١٩١-٢٠٢ .

ولـم يثبت بهذا الكلام في اخلاقهم فحشاً أصلا وجزعاً غير سيء ، وانما نفى الفحش والجزع على كل حال، ولولا ذلك لكان هاجياً لهم ولم يكن مادحاً.

وقال الفرزدق[1] :

ولم تأت غير أهلها بالذي أتت به جعفراً يوم الهضيبات عيرها[2]
أتتهم بتمر لـم يكن هجرية[3] ولاحنطةالشام المزيت خميرها[4]

فقوله « لم يكن هجرية » أي لم يحمل التمر الذي يكون كثير في هجر[5] ، ولم يرد بباقي البيت أن هناك حنطة ليس في خميرها زيت ، بل أراد بها لـم يحمل تمراً ولا حنطة ، ثم وصف الحنطة بأن الزيت يجعل في خميرها .

ونظائر هذا الباب أكثر من أن تحصى .

فعلى ما ذكرناه لاينكر أن يريد تعالى : انا فضلناهم على جميع من خلقنا وهم كثير، فجرى ذكرالكثرة على سبيل الوصف المعلق لاعلى وجه التخصبص وليس لاحد أن يخبر بقوله[6] : « فعل كذا وكذا كثير مـن الناس » على سبيل التخصيص دون العموم .

---

١) همام بن غالب بن صعصعة التميمى ، أبوفراس صاحب الجرير ، قيد رجليه فلم يفك القيد حتى حفظ القرآن الكريم ، وكان من الشعراء الفحول حتى قال هـو « قد علم الناس أنى أفحل الشعراء »، توفى سنة ١١٠ ، وقيل سنة ١١٢ ، وقيل سنة ١٤٤ (معاهد التنصيص : ١/٤٥-٥١) .

٢) كذا فى الديوان ، وفى الاصل : به جعفرالقرم يوم الهضاب عيرها .

٣) كذا فى الاصل ، وفى الديوان : أتتهم بعيرلم تكن هجرية .

٤) ديوان الفرزدق : ٣٦٨/١ .

٥) هجرمدينة ، وهى قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر (معجم البلدان ٣٩٣/٥) .

٦) فى الاصل : بقولهم .

وقولـه تعالى : « وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم »[1] وقولـه تعالى : « وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون »[2] ، وذلك انا لم نقل ان هذه اللفظة في كل موضع تستعمل بمعنى واحد ، بل الوجه في استعمالها يختلف ، وربما أريد بها التخصيص وربما أريد ما ذكرناه مما تقدم ، وانما يرجع في ذلك اما الى الوضع أو الى الدلالة تدل على المعنى المقصود ، وانما أردنا الرد على من ادعى أنها تقتضي التخصيص لا محالة ، فدفعناه عن ذلك بما أوردناه .

وليس لاحد أن يدعي أن الظاهر من هـذه اللفظة يقتضي التخصيص وانها اذا وردت لاتقتضيه كانت مجازاً وعمل عليه بدلالة. لان ذلك تحكم من قائله .

واذا عكس عليه وقيل له :بل التخصيص هو المجاز وورودها مورد النعت والوصف هو الحقيقة ، لم يجد فصلا .

ووجه آخر :

وهو أن الجنس انما يكون مفضلا على الجنس على أحد وجهين : اما بأن يكون كل عين من أعيانه أفضل من أعيان الجنس الاخر ، أو بأن يكون الفضل في أعيانه اكثر ، وليس يجوز أن يفضل الجنس على غيره بأن يكون فيه عين واحدة أفضل مـن كل عين في الجنس الاخر وباقيه خال مـن فضل ، ويكون الجنس الاخر لكل عين منـه فضلا وان لـم يبلـغ الى فضل تلك العين التي ذكرناها ، ولهذا لايجوز أن يفضل أهل بغداد على أهل الكوفة ان كان في بغداد فاضل واحد أفضل من كل واحد من أهـل الكوفة وباقي أهـل بغداد لافضل لهم ، حتى كان كثير من أهل الكوفة ذوي فضل وان لم يبلغوا الى منزلة الفاضل الذي ذكرناه .

---

١) سورة الانعام : ١١٩ .

٢) سورة الروم : ٨ .

فاذا صحت هـذه المقدمة لم ينكر أن جنس بني آدم [مفضولا] [1] لان الفضل في الملائكة عـام لجميعهم على مذهب أكثر النـاس أو لاكثرهم ، والفضل في بني آدم مخصص بقليل من كثير .

وعلى هذا لاينكر أن يكون الانبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة وان كان جنس الملائكة أفضل مـن جنس بني آدم ، للمعنى الذي ذكرناه ، ولمـا تضمنت الاية ذكر بني آدم على سبيل الجنسية وجب أن يفضلوا على من عدى الملائكة ، ولو ذكر الانبياء بذكر يخصهم ممن عداهم ممن ليس بذي فضل لفضلهم على الملائكة .

وهذا واضح بحمدالله وحسن معونته وتوفيقه .

---

١) الزيادة منا لتتميم الكلام . وفى هامش النسخة : افضل .